الوثيقة
دورية تاريخية محكمة
يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد العشرون - السنة العاشرة
رجب ١٤١٢ هـ - يناير ١٩٩٢م

الخليج العربي

وعالم التجارة في المحيط الهندي من ظهور الإسلام حتى

١١٦ ـ الوثيقة

بدايات الإستعمار البرتغالي

منذ أسس الرسول صلوات الله عليه الدولة الاسلامية في ٦٢٢ م وخلال قرن واحد من الزمان واجهت حضارات الشرق الأدنى القديمة ظاهرة تاريخية عربية تمثلت في ظهور نظام عالمي جديد . موحد سياسيا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا يقوم على تعاليم الاسلام الفكرية والعملية وكان من النتائج المباشرة للوحدة الاسلامية التي امتدت من السند في غرب الهند وحتى جبل طارق على البحر المتوسط أن نشط التبادل التجاري عبر مسافات طويلة برا وبحرا[1] .

وكانت جذور الاسلام الروحية والاجتماعية حتى ذلك الوقت المبكر من الخلافة الأموية راسخة أساسا في المدن والحواضر .

بقلم : البروفيسور ك . ن . شودرى
أستاذ التاريخ الاقتصادي بجامعة لندن

ومن البديهي أن أية حضارة تعتمد على المراكز الحضرية تكون مضطرة الى الاعتماد على التجارة لتزويد أبنائها بالحاجات اليومية الضرورية . والكماليات اللازمة لأصحاب الحياة المرفهة . وقد أدى تأسيس المدن الجديدة في كل من العراق ومصر والمغرب وتطوير المدن الساسانية والبيزنطية التي دخلها الفاتحون العرب الى نتائج اقتصادية ملموسة في حجم وطرق تنظيم التجارة والنشاط التجاري في كل من الخليج والبحر الأحمر[٢] .

ويرجع تأسيس البصرة واعادة اعمار الأبله من جديد ليصبحا الميناءين الرئيسيين للعراق الى الحاجة الاقتصادية والسياسية الممثلة في ضرورة إقامة طرق مواصلات آمنه بين الخليج ودمشق التي أصبحت عاصمة الامبراطورية الاسلامية بعد عام ١٦٦١م [٣] وقد وضعت الأراضي الزراعية الخصيبه في السواد التي كانت تروى بالقنوات وكذلك القدرة العالية لوادى النيل في انتاج الاغذية - وضعت - في أيدي الحكام العرب موارد اقتصادية خصبه مما استدعى ايجاد المواصلات البحرية وطرق القوافل اللازمة لاستثمارها والاستفادة منها ، وكان البحارة الاقباط وصناع السفن لمصر والخليج يتمتعون بسمعة عالية لمهارتهم منذ القدم . واذا كان قادة الابل من البدو قد طوروا الكثير من طرق القوافل إلا أن الفضل يرجع للملاحين الذين جابوا المحيط الهندي والبحر المتوسط في إنشاء أول اسطول اسلامي للتجارة والقتال في وقت قصير ..

وقد أدرك الجغرافيون والمؤرخون العرب اهمية النتائج التجارية التي نشأت عن الوحدة التي خلقها الاسلام في المنطقة الممتدة بين الصين (المحيط الهندي) وبحر الروم (البحر المتوسط) . وان كانت مؤلفاتهم لم تجمع على ذلك حتى جاء القرن التاسع أو العاشر الميلادى ويعتبر المؤرخ المقدسى وهو سورى المولد من اكبر المؤلفين العرب المتقدمين ومن أروع مؤلفاته كتابة «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» حوالي ٩٨٠م وهو ليس كتابا عن جغرافيه البلاد الاسلامية فحسب وانما هو تحقيق دقيق في الموارد الاقتصادية لكل الولايات الكبرى الممتدة من سوريا وحتى خراسان[٤] وكان المقدسى مهتما بدرجة ملحوظة بالدور الذى يلعبه التمدن والتحضر في التجارة بعيدة المدى . والباحث الذى يفتش اليوم عن تعاريف المدن ورموزها سوف يجد أن المقدسى قد سبقه بألف عام في هذا المجال وسوف يجد أيضا أنه أورد تفاصيل شامله عن الموضوع في مقدمة كتابة عن قائمة طويلة من المدن التجارية في الامبراطورية الاسلامية .

وقد قام المقدسى بتصنيف المدن جغرافيا وحسب درجة إدارتها السياسية . فكان يعتبر العواصم كا لملوك وعواصم الولايات كأمناء المال والمدن الصغيرة كالفرسان والقرى كالمشاة . وقد استخدم كلمة «مطرانيه» ليصف بها احدى المدن حيث كان يعيش الحاكم الأعلى وحيث كانت توجد دوائر الحكومة التي يتم فيها اجراء مراسيم تعيين حكام الولايات . وكانت كل من دمشق والقيروان وشيراز من أمثال هذه المدن . وكانت بعض هذه العواصم من الضخامه لدرجة انها كانت تضم مجموعة من المدن مثل طخارستان في بلخ وبتانه في واسط بالعراق والزاب في افريقيا ومن الواضح أن أسلوب المقدسى في وصف العواصم الاسلامية ودورها الاقتصادي قد اعتمد على مشاهداته الشخصية خلال اسفاره عبر مناطق جغرافية شاسعة ومتنوعة وحدتها نظرية واحدة عن الحكومة والادارة السياسية والارتباطات الاقتصادية .

فما هي السمات البارزه لعالم التجارة في كل من الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندى من القرن الثامن الى القرن الخامس عشر الميلادى ؟

لاشك أن العلاقات الثقافية والتجارية بين الطرف الغربى لبحر العرب والهند قد قامت قبل ظهور الاسلام بوقت طويل . ولكن معرفة طبيعة هذه العلاقة بالضبط وتبين أبعادها وتفاصيلها في أواخر العصر الساساني يعتبر أمرا صعبا طبقا للمصادر التاريخية والأثرية المتاحة حتى الآن[٥] وان كانت الأمور قد بدأت تتضح ابتداء من أواسط القرن الثامن عندما بدأ التجار المسلمون يمارسون نشاطهم التجارى ليس فقط مع الديبل وهي الميناء الكبير قرب مصب نهر الإندوس بل أيضا مع ساحل المليبار في الهند[٦] وقد بدأت سفنهم تجوب هذه المياه وتوجد إشارات في المصادر الصينية المبكرة لعام ٧٥٨م عن ظهور ملاحين من العرب والفرس في كانتون[٧] وقد أمكن على ضوء التنقيبات الأثرية التي أجراها ديفيد وايت هاوس في سيراف وبدقة معرفة الزمن الذى قام فيه المسلمون بأسفارهم الى كل من الصين وشرقي افريقيا وهما منطقتان يفصل بينهما ستة آلاف ميل والى جانب المصادر التاريخية فقد تم العثور على دليل هام في هذا المجال اذ عثر على قطع من الخزف في سيراف التي كانت ميناء هاما وبارزا في القرن السابع وقد عثر على كميات كبيرة من الخزف الصيني في موقع المسجد الجامع الذي بنى حوالي ٨١٥ ـ ٨٢٥م[٨] وقد أدى إنشاء مدن كبيرة بالعراق كبغداد وسامراء الى تنشيط التجارة برا وبحرا في الخليج كما زاد الطلب على البضائع الفاخرة والسلع الكمالية من الهند والصين مما يدل على نمو كبير في

النشاط التجاري . وفي الربع الثالث من القرن التاسع زاد عدد التجار القادمين من الشرق الاوسط الذين أقاموا في الصين وواصلوا تجارتهم معها . ويقال إنه عندما قام القائد الكبير «هوان شاو» بغزو كانتون ونهبها في عام ٨٧٨م فقد قتل ١٢٠ ألف نسمة بينهم عدد كبير من المسلمين واليهود والنصارى والزرادشتيين[٩] وكانت رحلات المسلمين التجارية الى الصين مربحة جداً كما كانت بمثابة اختبار جدى للمهارات الملاحية للبحارة العرب والفرس في الابحار بعيدا عن السواحل . ومن ناحية أخرى فقد ساعد عدم الاستقرار السياسي في امبراطورية تانج الآفلة على نمو التجارة في ملتقى طرق التبادل الثقافي الذى كان ممثلا في ذلك الوقت في أرخبيل الملايو .

وقد اكتشف العالم العربي الموسوعى المسعودى اثناء احدى سفرياته حوالي سنة ٩١٤م أن السفن القادمة من سيراف وعمان في الغرب كانت تلتقى بالسفن القادمة من بحر الصين في مالابار بشبه جزيرة الملايو وكتب المسعودى في بحث رائع عن مستوطنة للمسلمين على الساحل الغربي للهند قائلاً : «كان عدد المسلمين في مستوطنة سيمور آنذاك ١٠ آلاف نسمه فيهم البياسرة والسيرافيون والعمانيون والبصريون والبغداديون وأخرون من مدن اخرى تزوجوا من المحليات واستوطنوا تلك المنطقة وكان منهم بعض التجار البارزين»[١٠] .

وبعد أن تدهورت الخلافة العباسية سياسيا واجتماعيا خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين استمرت بل زادت هجرة المسلمين الى الهند وشرق افريقيا . وعندما قام الرحالة المغربي ابن بطوطة بزيارة المحيط الهندي كانت مدينتان كبيرتان في شرق افريقيا هما مقديشيو وكلوه وكذلك ساحل ملبار قد اصطبغت كلها بالصبغة الاسلامية لدرجة كبيرة وقد سجل ابن بطوطه خلال زيارته تقديره للسلطان ابو المظفر حسن سلطان كلوه لهداياه السخية وأورد وصفا للمباني الرائعة التي شاهدها في المدينة . وعلى الجانب الآخر من المحيط الهندى كان ميناء كويلون على ساحل ملبار ملتقى هاما للتجار المسلمين والسفن الصينية الشراعية . وقد تبرع تاجر مسلم بارز في المدينة اسمه خواجه مهذب بالأموال اللازمة لاقامة مسجد جامع بها[١١] .

وكان برزك بن شهريار (حوالى ٩٠٠ ـ ٩٥٠م) على معرفة تامه بعالم الملاحه في كل من سيراف وعمان وجده وقد سجل تفاصيل وافيه عن مغامرات النواخذه الذين أبحروا من الخليج الى جنوب الصين . وروايات التجارية البحرية مكتوبه بأسلوب شائق كأسلوب قصص البحار المثيرة للدهشة وهي تلقى الضوء على تجارة

العـرب المبكـرة .. وكـانت سفن المسلمين التي تتاجر مع الصين والتي كـانت تنطلق من سيراف وجـدة تستغرق حوالى ثـلاث سنوات في الذهاب والإياب مما كان له أثر كبير على التنظيم المالي للتجارة . وكانت سفرة واحدة عبر المحيط الهندى تقتضى وقفات طويلة في المرافىء الآمنه خلال تغير اتجاه الرياح الموسمية في مارس وسبتمبر . وكانت هناك بعض القيود المفروضه على نوع السلع وحجم الفوائد . وكان رأس المال المستثمر في الرحلة يظل مجمدا لثلاث سنوات مما استدعى أن يرفع التاجر من نسبة ارباحه وفي النهاية كان لابد أن تكون بين البضائع المشتراة نسبة من السلع الثمينه حتى تنخفض التكاليف الاجمالية للرحلة . غير أن الخيارات التي كانت مطروحة أمام التجار القدماء كانت محدودة جدا وخاصة في اختيار نوع السلع وكان نوع السفينة يتحكم في ذلك . فلو كانت السفينة مشحونة بكميات من السلع الثمينة وغرقت فإن الخسارة تكون باهظة ، ولو كان هيكل السفينة خشبيا فإن الأمر كان يقتضى شحن حمولة ثقيلـة لحفظ التوازن في مخـازن السفينة ، وكان أغلب التجار يفضلون أن يحفظ التوازن بشحنة ذات مردود اقتصادي على شحنة غير اقتصادية لذلك كانت السفن المبحرة لمسافات بعيـدة في المحيط الهندى تحمـل شحنات ثقيله ذات أحجام كبيرة لحفظ توازن السفينة ولتكمل بها حمولتها الاساسية من السلع الثمينه .

ومع ارتفاع مستوى الاستهلاك وتنوع أساليب التجارة كما وكيفا ونمو المراكز الحضريه في الشرق الاوسط وتزايد سكانها اختفت تدريجا تلك الرحلات الطويلة بين الصين وموانىء الخليج وظهرت المراكز أو المحطات التجارية التي تبيع مختلف السلع وحتى أواخر القرن العاشر الميلادي ظهر تجار أثرياء من الفسطاط وجدة وعدن وصحار والبحرين وسيراف والبصرة في كانتون وهانجشو بالصين الا انهم كانوا يتوقفون لفترات أطول في مينائى «كويلون وكاليكوت بالهند وكانوا يقومون بالتجارة في موانىء أخرى في ممر ملقا وفي هانوى في الهند الصينية وقد فضلوا بذلك الحصول على البضائع الصينية من المدن التجارية الوسيطه ومن هذه الفترة وحتى القرن الخامس عشر الميلادي كانت التجارة بين القارات عبر المحيط الهندى تتم عن طريق عدد من المراكز التجارية أما الموانىء التجارية في كل من الخليج والبحر الأحمر فسوف تلعب دورا هاما في الترتيبات الجديدة التي جاءت بعد ذلك .

ولا يجوز أن نفهم من الملاحظات العامة السابقة أن التاريخ التجارى للمدن المختلفة ظل ثابتا في مواجهة المتغـيرات التي مـربهـا العـالم الاسلامي . بل لقد تغيرت اهمية الخليج والبحر الأحمر كطريق حيوى

للتجارة البحرية نسبيا في الفترة بين انشاء بغداد وقيام الخلافة الفاطمية في مصر (٩٦٩م) . فقد أدى تمرد الزنج وهم الأرقاء الافارقة الذين كانوا يعملون في المزارع حول شط العرب الى توقف تجارة البصرة بين عامي ٨٦٨م - ٨٨٣م . وابتداء من منتصف القرن العاشر واجهت الخلافة العباسية في بغداد أزمة حادة تمثلت في ظهور الخلافات الدينية وأصبحت البحرين واليمن وهما مركزان بحريان اسلاميان ملاذا آمنا للثائرين على الخلافة مثل القرامطة والاسماعيليين وانتشرت بهما واستوطنتهما اعداد كبيرة من الجماعات المناهضة للاتراك في الشرق الأوسط مما كان له انعكاس على استقلالية الخلافة العباسية . وكما ذكر المسعودى فإن بغداد والمدن الرئيسية الأخرى في العراق أخذت تواجه انهيارا اقتصاديا حادا في الوقت الذى زادت فيه أهمية مدن أخرى كعدن والفسطاط والاسكندرية على حساب التجارة الخليجية واستمر الحال كذلك حتى بدأ عصر التجارة بين البندقية ومصر ووصل البرتغاليون الى كاليكوت عام ١٤٩٨ م .

وقد استمرت المراكز الرئيسية البحرية في الخليج في تقديم خدماتها في منطقة التجارة البحرية الواسعة عن طريق القوافل التي كانت تصل الى داخل آسيا الوسطى ويدل التطور الفنى المتزايد في طرق الملاحة والنقل البحري الذى وجد في مختلف موانىء الخليج على وجود شبكة تجارية حديثة امتدت الى كل من الهند وحضرموت والحجاز وشرق افريقيا وان وجدت بعض السلبيات في مينائى البصرة وجدة ، ولم تكن الملاحة في الخليج سهلة وكانت المياه حول شط العرب والواحات العراقية الجنوبية ممتلئه بالعراقيل والعقبات . وكان البحر الأحمر في غاية الخطورة بالنسبة للملاحة والنقل البحرى . وكان اتجاه هبوب الرياح في كل من الخليج والبحر الأحمر يختلف عن اتجاهها المعروف في المحيط الهندى وكانت السفن القادمة من مختلف أرجاء بحر العرب لا ترغب في التوغل داخل الخليج أو البحر الأحمر وكانت السفن الكبيرة تجد من الأفضل والأسهل لها أن تفرغ حمولتها في ميناء يقع بالقرب من هرمز يكون فيه الماء عميقا . وكان هذا هو السبب في تفضيلها لموانىء سيراف اولا ثم قيس وهرمز وصحار والبحرين بعد ذلك .

واتخذ نظام التبادل التجاري عن طريق المستودعات شكلا ثلاثيا وكان القسم الأول ويضم الخليج والبحر الأحمر مرتبطا بكجرات والملبار في الهند . والثاني كان يضم قطاعا يمتد بين الهند ومضايق ملقا وسوندا في الأرخبيل الاندونيسي ويضم القسم الثالث الرحلات التجارية فيما بين الصين واليابان وكوريا وموانىء جنوب شرق آسيا .

وبهذه الطريقة مرت السلع الثمينة والبضائع الاستهلاكية سواء كانت من الشرق أو الغرب بالموانىء الوسيطة ونقلت من بيت تجارى الى بيت تجارى آخر ومن تاجر الى تاجر وتم استهلاكها في بيوت كل الناس سواء كانوا أغنياء أو فقراء . ويبدو منطقيا أن نظام التبادل التجارى عن طريق المستودعات وظهور الموانىء الدولية حيث يتواجد التجار من مختلف الجنسيات كان نتيجة الظروف الناتجه عن الرياح الموسمية ومشاكل الملاحة في المحيط الهندى . ويؤكد ذلك ما ورد في كتاب المؤرخ البرتغالى (توم بيرى) واسمه «سوما أورينتال حوالى ١٥٢٠م» من قوله : «نظرا لأن التجار من كل من القاهرة ومكة وعدن لم يكن باستطاعتهم الوصول الى ملقا خلال موسم واحد للرياح الموسمية فقد كان التجار الفرس والتجار من هرمز وتركيا وآخرون مثل الأرمن يذهبون الى مملكة كجرات في الوقت المناسب لهبوب هذه الرياح ويجلبون كميات كبيرة من السلع . وكان تجار مصر ينقلون البضائع الى الطور ومنها الى جدة ومن جدة الى عدن ومن عدن الى كامبى حيث يفرغون بها البضائع التي يقبل عليها الناس أما بقيه البضائع فكانت تواصل طريقها الى ملقا»(١٢).

ويرى «توم بيرى» أن الناس بصفه عامه كانوا يعرفون في ذلك الوقت أن السفر بين موانىء الشرق الأوسط والهند يعتمد كليا على مواقيت الرياح الموسمية وأن ذلك كان وراء إنشاء مدن مثل كامبى وكاليكوت وملقا . الى جانب أن الميناء الذى يستخدم كمستودع لتبادل السلع هو أمر معروف في تاريخ التجارة . ومع أن الجدول الزمنى للرياح الموسمية يعتبر تفسيرا لاختيار موقع ميناء ما مثل موانىء ممر ملقا الا انه لايقدم كل الأسباب لظاهرة التبادل التجاري عن طريق المستودعات وعلينا أن نبحث عن أسباب أخرى في الدوافع الاقتصادية والسياسية . فقد أدى اللجوء الى التجارة عن طريق المستودعات الى تخفيض أجور الشحن وتقليل المسافات التي كان على التاجر أن يقطعها فضلا عن تقديم خيارات أوسع أمام التجار سواء في البضائع أو الخدمات التجارية . وكانت المدن التجارية مثل سيراف والبحرين وصحار وكامبى وملقا محايدة سياسيا وكان يلتقى بها التجار من مختلف الجنسيات والأديان حيث يتمتعون بحرية التحرك والتصرف دون التعرض لأية أخطار . وقد أدى مناخ التسامح السياسي والثقافي الذى ساد المحيط الهندي إلى جعله منطقة ملائمة لممارسة الأنشطة السلمية الى أن تعرض هذا الجو الهادىء لهزه عنيفة بسبب البرتغاليين في القرن السادس عشر وان كانت القرصنة التي كانت تجرى بصورة منتظمة قد جعلت التجارة غير آمنه

كليا قبل ذلك الوقت .

وقد اعتمدت الحياة الاقتصادية في المدينتين التجاريتين الرئيسيتين بالمحيط الهندى وهما ملقا وكامبى على عدن وهرمز على التوالي . وكانت هناك مدن اخرى بالمنطقة نشطة ومزدهرة ومتطورة بنفس الدرجة على الأقل منذ القرن العاشر الميلادي فيقول المقدسي : «إن اليمن بلد واسع وقد قضيت عاما كاملا في زيارة مدنها التي وصفتها آنفا[١٣] وكانت «زابد» توصف بأنها بغداد اليمن وهي مدينة حسنه البناء وبها الكثير من الأمراء والتجار والمثقفين . وكانت «المخا» مدينة تجارية مزدهرة تنتج كمية كبيرة من زيت السمسم . وكانت «صنعاء» وهي العاصمة مشهورة ببساتينها وفاكهتها . أما في حضرموت فكانت «الشير» مدينه ساحلية تقوم بتصدير الاسماك كبيرة الحجم التي يتم صيدها من على الساحل . وكانت صحار في عمان ميناء رئيسيا تنطلق منه الرحلات الى الصين وكانت توجد بها أسواق جميلة على الساحل أما بيوتها فكانت عاليه ورائعة ومبنيه من الآجر وخشب الساج . وفي منطقة الخليج كانت الأحساء عاصمة هجر التي تعرف أيضا باسم البحرين تشهد حركة تجارية ضخمة وتشتهر بنخيلها ومغاصاتها . واخيرا ظلت كل من البصرة وبغداد مفتاحين للقطاع الشمالي من التجارة عبر القارات مرورا بالمحيط الهندى . وكانت المناطق المجاورة والاحياء التجارية في مدينة السلام معرضه للتخريب والغزو من الاتراك والمغول بين وقت وآخر مما أحدث دمارا للأراضى الزراعية في العراق لكن سرعان ما كانت المدينتان تستعيدان ازدهارهما بسبب موقعهما الهام .

إن موضوع التبادل التجاري للسلع الثمينة والعادية بين الخليج والمستودعات التجارية في كل من الهند وجنوب شرق آسيا والصين ذكر في كافة المصادر التاريخية واشتملت قوائم السلع على سلع ثمينة كالبخور والمر وعطر الورد واللآلىء والخيول الأصيلة والأقمشة الحريرية والحرير الخام والسجاد الى جانب التمور والفاكهة الطازجة والمجففة والجلود والقهوة . وكانت قيمة هذه المنتجات الشرق أوسطية تدفع بسلع اخرى كالذهب والفضه والمنسوجات الصوفية الفاخرة والمصنوعات المعدنية الأوروبية والعاج والأخشاب والأغذية من شرق آسيا والمنسوجات القطنية والاحجار الكريمة والحبوب من الهند والتوابل وخشب الصندل وجلود السلاحف من الأرخبيل الشرقي والخزف والحرير والشاى والكافور من الصين . وكانت الخيول العربية الاصيلة القادمة من الخليج رمزا للثروة الشخصية وللقوة العسكرية وقد نالت مغاصات اللؤلؤ في البحرين والكويت وكذلك المغاصات الواقعة في البحر الاحمر (عيذاب)

نفس الشهرة . وطبقا لما ورد في كتابات «ابن جبير» الرحالة الاندلسي (١١٨٣ ـ ١١٨٤م) فإن موسم صيد اللؤلؤ في الجزر الواقعة حول (عيذاب) كان يمتد من يونيو الى يوليو وكان الغواصون يخرجون في جماعات صغيرة في الزوارق لصيد المحار المزدوج المحتوى على اللؤلؤ . ولم تكن مهاد المحار عميقة وتعجب «ابن جبير» من أن الأماكن القاحلة مثل (عيذاب) استطاعت أن توفر لقمة العيش لسكانها بفضل الأحياء البحرية[١٤] وكان المقدسي قبل قرنين قد أشار أيضا الى مغاصات اللؤلؤ الواقعة في «أوال» وجزيرة «خرج» في هجر وذكر أن الغواصين كانوا يتعرضون لأخطار جسيمة من اللخمة وأسماك القرش . كما كتب المقدسي والكتاب الآخرون المعاصرون له عما يسمى «اللؤلؤة اليتيمة» الخرافيه التي لا يوجد مثيل لها في العالم . وكتب برزك بن شهريار بالتفصيل عن قصة العثور على هذا النوع من اللؤلؤ فقال : ان تاجر لؤلؤ عماني يسمى مسلم بن بشر فقد ثروته كلها وأصبح فقيرا معدما فأقنع زوجته ببيع مجوهراتها واستثمر ثمنها في تنظيم رحلة أخيرة للغوص . وطبقا للتقاليد المحلية اتفق مع الغواصين على أن الرحلة لن تتجاوز الشهرين وبعد أن أوشك الشهران على الانتهاء عثر الغواصون في اليوم الأخير على لؤلؤتين وكانت واحدة منهما «لؤلؤة يتيمه» باعها مسلم بن بشر لهارون الرشيد بمبلغ ٧٠ الف درهم وباع اللؤلؤة الأخرى بمبلغ ٣٠ الف درهم .

وفي منتصف القرن الخامس عشر طبقا لما ورد في كتابات ابن ماجد كانت حوالي الف سفينة بحرينية تشارك سنويا في عمليات الغوص[١٥].

إن صادرات الشرق الأوسط الى مختلف بلدان المحيط الهندي سواء من حيث الحجم أو القيمة وخلال الفترة موضع الدراسة كان لها صلة بواردات الهند ونظام التخصص في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي الهندي وكذلك النظم الاقتصادية التي كانت موجودة في البلدان الشرقية الأخرى . فقد زود النساجون الهنود الاسواق بكميات كبيرة من المنسوجات القطنيه سواء من الأنواع العادية أو الأنواع الممتازة وكانت كل مدينة في كوجرات والبنجاب وكورومندل على صلة تجارية بالخليج لها اسلوبها الخاص في انتاج المنسوجات ومختلف أنواع الأقمشة . فكان هناك النسيج القطني الرقيق الشفاف والملاءات الملونه والمزينه بالرسوم والمفارش والقماش المزخرف أو القماش المصقول كالورق أو القماش المزين برسوم خاصة مطلوبة لقبيلة ما أو مدينة معينه في الخليج . وكان نساجو الحرير في مدينة أحمد أباد مكلفين كل عام بصنع كسوة الكعبة المشرفة . وفي حين تخصصت الهند في صنع المنسوجات القطنية أو المخلوطة من

القطن والحرير تخصصت الصين في صنع الحرير الرقيق واحتكار صناعته أيضا . وقد زاد الطلب الخارجي على الحرير الصيني لدرجة دفعت الأمبراطور الى حظر تصديره بين وقت وآخر . وكان الخزف الأخضر الشهير والأطباق المصقولة والخزف الابيض والأزرق الذى يعود لسلالة مينغ من بين البضائع التي كانت معروضة للبيع في جميع الموانىء الرئيسية بالشرق الأوسط . ومجموعة الخزف الموجودة حاليا في متحف «طوب قبو» باسطنبول والتي نقلت أصلا من القاهرة حينما فتح العثمانيون مصر عام ١٥١٧م تعطي لنا فكرة عن أهمية الخزف في التجارة البحرية للصين والشرق الأوسط . وكانت بعض مكونات الأطعمة التي تقدم في أطباق الخزف الصيني تستورد من الأرخبيل الشرقي كما استخدمت التوابل الثمينة المستوردة من ملقا والقرفه المجلوبة من سيلان في إعداد الأرز واللحم ويقدم لنا كتاب عن الطبخ يعود للقرن الثالث عشر عددا من الوصفات التي كانت مستخدمة في بغداد وانواع البهارات التي كانت تستخدم في صنعها وهي وصفات لن يشعر الطهاة في الهند أو العالم العربي اليوم بغرابتها[١٦] مما يعنى أن فن الطهو الرفيع لم يتغير عبر ستة قرون . وكانت التوابل المجلوبة من اندونيسيا وساحل ملبار في الهند تشكل نسبة كبيرة من السلع التجارية التي تمر عن طريق عمان والبصرة في الخليج والسويس والاسكندرية في مصر .

وفي عام ١١٨٣ لاحظ ابن جبير أن شحنات الفلفل الأسود والقرفة كانت تنقل بين «عيذاب» والنيل بواسطة قوافل الجمال عبر الصحراء . وكان قائد القافلة اذا وجد أحد الجمال قد مرض ولا يستطيع اكمال الرحلة ينزل شحنة التوابل من على ظهره ويتركها في الصحراء حتى يستردها فيما بعد ولاحظ أيضا أنه على الرغم من كثرة المارة في نفس الطريق فإن أحداً لم يكن يمس هذه الشحنة على الرغم من معرفتهم بارتفاع قيمتها[١٧] .

إن الكتابات المعاصرة التي تعرضت لحجم واتجاهات التجارة البحرية في المحيط الهندى تثبت بما لايدع مجالا للشك أن الملاحين العرب كانوا قادرين على الابحار بسفنهم في أعالي البحار والأمر الذي مكنهم من ذلك هو درايتهم بالفلك ودقة معرفتهم لشكل السواحل ومعالمها إضافة الى المهارة التي اشتهر بها الملاحون العرب والهنود من «المعلمين» في القرن الخامس عشر والتي جاء ذكرها ليس فقط فيما كتبه احمد بن ماجد بل أيضا في وصف رحلة فاسكو دى جاما الأولى الى الهند . وقد استخدم فاسكو دى جاما في مالندى بشرق افريقيا مرشدا هنديا قاده عبر المحيط الهندي حتى وصل الى كاليكوت بسهولة ويسر . ويعود تاريخ الملاحة العربية الى زمن قديم وقد كان

أصحاب السفن المشهورين ينافس بعضهم بعضا في التنبؤ بالوصول بدقة الى مكان محدد من اليابسة اعتمادا على معرفتهم بالقياسات البحرية واتجاهات الريح وحركة الأمواج . مثال ذلك ما حدث في بداية القرن العاشر عندما كان النوخذة محمد بن بابشاد متوجها من فنسور في سوماطره الى عمان وعندما دخلت السفينة خليج البنغال سأله معلم السفينة عن المكان الذى سترسو عليه السفينة في نهاية الرحلة فأجاب النوخذة بأنهم سيرسون في «ريسوت» وهو ميناء يقع بين «شهر» و«رأس الحد» وقد اختلف معه المعلم وذكر أنهم سيرسون على ميناء آخر يبعد ٧٥ ميلا أسفل ريسوت وتراهنا على ٢٠ دينارا توزع على الفقراء . وبعد ١٥ يوما اعتقد المعلم بأنهم اقتربوا من المرتفعات العربية وفي اليوم التالي عقب صلاة العصر أعلن المعلم أنه يرى الساحل العربي ونظر الجميع ولكنهم لم يروا شيئاً وعندما صعد المراقب الى نقطة المراقبة صاح «الله اكبر» وردد كل البحارة الهتاف وراءه فقد شوهد البر وفي اليوم التالي ألقت السفينة مراسيها في أحد الموانىء ولم يكن سوى ميناء «ريسوت»[١٨] .

ورغم مهارة الملاحين والبحارة المسلمين الا أن المحيط الهندي ظل محيطا مليئا بالأخطار . وكانت الخسائر التي تسببها العواصف والقراصنة ما تزال تسبب القلق وتثير الخوف في قلوب التجار الآسيويين . ويروى بزرك بن شهريار قصة تاجر من تجار الساحل الغربى للهند أعد سفينة للسفر الى عمان وكان الساحل الغربي للهند مشهورا في ذلك الوقت بخشب الساج الذى كان مطلوبا في الخليج لصناعة السفن وبناء البيوت وشحن التاجر قطعة كبيرة من خشب الساج حفر عليها اسمه في السفينة التي أبحرت الى عمان وعقب شهرين من رحلة السفينة جاءه شخص ليخبره أن قطعة الخشب عثر عليها على ساحل الهند وقد حفر عليها اسمه وذهب التاجر فوجد انها قطعة الخشب التي شحنها وكانت هذه الاخشاب الضخمة لاتوضع في السفينة نفسها وإنما تربط الى جانبها محمولة بالمياه وتصور التاجر أن السفينة قد غرقت بسبب العواصف ولكن لدهشته عادت السفينة من عمان سالمة . في البداية كان القطبان مترددا في الاعتراف بضياع الشحنة لكنه أوضح فيما بعد أن قطعة الخشب ضاعت في البحر بسبب العواصف الشديدة والتيارات المائية . وكان من حسن الصدف ان هذه العواصف نفسها هي التي حملت قطعة الخشب الضخمة عائدة بها الى ساحل الهند واذا كانت نهاية هذه القصة سعيده بعودة الخشب الى صاحبه الا أن كتاب بزرك بن شهريار يتضمن قصصا أخرى كثيرة ليست نهاياتها

سعيدة مثل هذه . القصة . ففي سنة ٩١٨م ابحرت سفينة لعبدالله جنيد من سيراف متوجهة الى سيمور (شاول) بالهند وكان برفقتها سفينتان اخريان وبعد ١١ يوما من السفر تعرضت السفن الثلاث لعاصفة شديدة ولم يكن هناك أي أمل في انقاذها وأمر القباطنه بإخلاء السفن وركب ٣٣ شخصا من البحارة احد قوارب النجاة وظلوا في البحر دون ماء ولا طعام مدة خمسة أيام حتى وصلوا الى البر أما بقية اطقم السفن الذين رفضوا ترك السفن فقد لقوا حتفهم . ومما لاشك فيه أن أمثال هذه الكوارث البحرية سببت خسائر مالية فادحة لتجار سيمور وسيراف .

واذا كانت العواصف البحرية قوة قاهرة تدخل في نطاق القضاء والقدر وتخرج من دائرة قدرة الانسان الا ان القراصنة كانوا خطرا بالإمكان التصدي له ومحاربته . ولم يستهن التجار الهنود والعرب أبدا بالخطر الذي كان يشكله القراصنة وانما كانوا يستعدون له . ففي عام ٩٢٩م كان صاحب سفينة اسمها «الاسماعلاوية» عائدا بسفينته من مضيق ملقا عندما تعرضت السفينة لهجمة من قراصنه الملايو . فتصدى لهم وقاومهم وبعد قتال دام ثلاثة أيام استطاع أن يحرق معظم سفنهم بسفينته وفي رحلة العودة قطعت السفينة الرحلة في زمن قياسي هو ٤١ يوما وقد استقبل سلطان عمان القبطان وافراد الطاقم استقبالاً حسناً وقدر ثمن شحنة السفينة بمبلغ ٦٠٠ ألف دينار وكان ذلك مبلغا كبيرا[١٩] .

لقد كانت عصابات القراصنه المنظمة في غربي الهند والخليج نشطة في هذه الفترة وقد اكتشف ماركوبولو في القرن الثالث عشر أن الاسطول التجاري في رحلته السنوية من والى الشرق الأوسط كان يرافقه دائما أسطول مسلح لحمايته ضد هجمات القراصنة[٢٠] . لقد كان تاريخ التجارة البحرية في الميط الهندى ابتداء من عصر صدر الاسلام وحتى عصر الاستعمار البرتغالى حافلا بالنشاط التجارى والازدهار الاقتصادي بين مختلف المجتمعات ولم يكن هناك أى توتر عقائدى أو سياسى بين مختلف الطبقات من التجار الذين كان لهم الفضل في تنشيط حركة التجارة ونشر الرفاه والازدهار اللذين كانت تعكسهما حالة المدن الاسلامية الكبيرة في ذلك الوقت بسبب العائدات المالية التي كانت تحصلها من تجارة الترانزيت وكانت هذه المدن مراكز تجارية حيوية في الحركة التجارية المزدهرة . ولم تكن المشاركة العربية في التجارة عبر القارتين الأوروبية والآسيوية لأكثر من الف عام ترجمة لرغبة اسلامية في التوسع وإنما كانت تأكيداً على قدرة الاسلام في خلق عالم واحد تسوده ثقافة واحدة .

الهوامش

1. G.F. Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Princeton, 1951, P. Crone, Meccan Trade and the Rise of Islam, Oxford, 1987; Ibn Ishaq, in English translation by A. Guillaume, The Life of Muhammad: A Translation of Ishaq's Sirat Rasul Allah, London, 1955, al-Tabari, Ta'rikh al-Tabari, Leiden, 1879.
2. A.M. Watson, Agricultural Innovation in the early Islamic World, Cambridge, 1983; H. Lammens, la cite arabe de Taif a la veille de l'heqire, Beirut, 1922; Ibn Khaldun, The Muqaddimah, English translation by F. Rosenthal, Princeton, 3 vols., 1967.
3. Donner, F.M., "Tribal settlement in Basra during the first century A.H.". in Khalidi T., ed., Land Tenure and Social Transformation in the Middle East, Beirut, 1984; The Early Islamic Conquests, Princeton, 1981; Naji, A.J. and Ali, Y.N., "The suqs of Basrah: commercial organization and activity in a medieval Islamic city", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 24, 1981, 298-309.
4. Al-Muqdisi, Arabic text in M.J. Goeje, ed., Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Leiden, 1870-1906, vol. III; English translation by G.S.A. Rankin and R.F. Azoo, Calcutta, 1901; French translation by A. Miquel, Damascus, 1963.
5. A.H.M. Jones, "Asian trade in antiquity", in D.S. Richards, ed., Islam and the trade of Asia, Oxford, 1970; L. Casson, Ancient Trade and Society, Detriot, 1984; D. Whitehouse and A. Williamson, "Sasanian maritime trade", Iran, vol. 11, 1973, 29-49; J.C. Wilkin-

son, "Arab-Persia relationships in late Sasanid Oman", Proceedings of the sixth seminar for Arabian Studies, London, 1973, 40-51.

6. On Daybul see, نزهة المشتاق، الادريسي in H.M. Elliot and J., Dowson, the History of India as told by its own Historians, London, 1867-77, vol. 1,77.
7. Hourani, Arab Seafaring, 68, 76-7; Wang Gungwu "The Nanhai trade; a study of the early history of Chinese trade in South China Sea", journal of the Malayan Branch of the Royal Asiatic Society, vol. 31, 1958, 1-133.
8. R. Hodges and D. Whitehouse, Mohammed, Charlemagne & the Origins of Europe: Archaeology and the Pirenne Thesis, London, 1983, 143.
9. Wang Gungwu, "the Nanhai trade: a study of the early history of Chinese trade in South China Sea".
10. Arabic text and المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر French translation in C. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille, Les Prairies d'or, 9 vols., Paris, 1861-77, II, 85-6.
11. Ibn Battuta, Rihla, ed., With French translation by C. Defremery and B.R. Sanguinetti, 4 vols., Paris, 1853-1914; English translation by H.A.R. Gibb, The Travels of Ibn Battuta, Cambridge, 3 vols., 1958-71.
12. Tome Pires, The Suma Oriental of Tome Pires: An Account of the East from Red Sea to Japan, written in Malacca and India 1512-1515, edited by A. Cortesao, Lisbon, 1944, vol. 269.
13. المقدسي، احسن التقاسيم ص ١٢٧
14. Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubary, English translation by R.J.C. Broadhurst, London, 1952,64.
15. Buzurg Ibn Shahriyar, The المقدسي احسن التقاسيم ص ١٥٣ Book of Wonders of India, 78; ابن ماجد كتاب الفوائد .213,
16. Muhammad Ibn al-Hasan, Kitab al-Tabikh, English translation by A.J. Arberry, A. Baghdad Cookery Book, Bombay, 1939.

17. Ibn Jubayr, The Travels, 61
18. Buzurg, The Book of the Wonders of India 53.
19. Buzurg, The Book of the Wonders 76
20. Marco Polo, The Description of the World, 410.

كاظمة
أرشيف التراث الخليجي

ببليوجرافيا

رُوّاد الإصلاح في محمد عبده

بدأنا في عدد سابق نشر هذه الدراسة عن رواد الاصلاح في العصر الحديث وقدمنا في الحلقة الأولى منها الرائد الفذ جمال الدين الأفغاني ونقدم في هذه الحلقة - وهي الثانية من هذه الدراسة - رائدا آخر عبقريا هو الامام محمد عبده.

للدكتور
فهمي توفيق
مقبل

يلف الغموض تاريخ ولادة الامام الشيخ محمد عبده ومكانها ، لكن العديد من المصادر الموثوقة ، يتفق على انه من مواليد سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م ، في قرية صغيرة من قرى مصر تسمى محلة نصر من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة .

نشأ الشيخ محمد عبده وترعرع في بيت عرف أهله بسمو النفس ، وكرم الخلق ، واشتهر رجاله بالصبر على الأذى وقوة التحمل والتضحية في سبيل الحق ، حتى ضرب المثل بشجاعتهم وبسالتهم في مواجهة الطغاة والظالمين ، وكثيرا ما دفعوا ثمنا باهظا لقاء مواقفهم الوطنية والشجاعة . وقد ادرك محمد عبده في عقده الثاني عهد الظلم وفساد الحكم ، ورأى بنفسه الاجحاف المادي والمعنوي الشديد الذي لحق بأسرته ، وكيف يزج بأهله ومن يلوذ بهم في السجون حتى الموت ولا يخرجون منها إلا الى القبور .

العصر الحديث

محمد عبده

١٨٤٩ ١٩٠٥

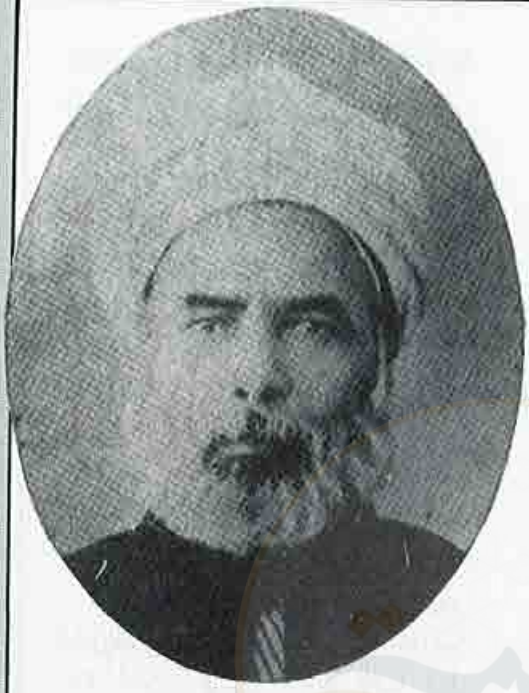

هذه الطفولة الحزينة المقموعة ، التي مر بها محمد عبده صغيرا ، احتلت مساحة واسعة من تفكيره ، ورؤيته للمستقبل ، وانعكست على مجمل شئون حياته الشخصية والفكرية ، لكن من الثابت انه قد صاحبها دائما شعور بالاعتزاز بالمجد والاصالة ، وعدم الربط بين هذه الاصالة وبين الجاه المادي المتعلق خصوصا بالثروة وكثرة المال .

نهل الامام محمد عبده علومه الأولى في كتاتيب قريته ، وهو في سن السابعة من عمره ، حيث أتم فيها مرحلة حفظ القرآن وتجويده ، ثم انتقل الى الجامع الاحمدي بمدينة طنطا ، بادئا بذلك اول خطوة في مسيرته نحو الأزهر الشريف ، ليلتحق به في العام ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م ، وفي أزهر القاهرة بدا الشيخ وكأنه يقف أمام أبواب مرحلة حاسمة من تاريخه ، تمثلت باتصاله بالداعية الاسلامي الثائر جمال الدين الأفغاني ، الذي كان قد وصل الى القاهرة للمرة الثانية عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، مقررا البقاء فيها ، وما كاد يلتقي الأفغاني ، حتى انبهر به أيما انبهار ، ثم أخذ يلازمه كظله ، حاثا طلاب العلم على حضور مجالسه وسماعه ، وتلقى العلم عنه ، آخذا هو بدوره عن استاذه ، العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية .

ويكتشف الأفغاني في تلميذه الشيخ عبده ، حلمه الكبير ، في بناء

التنظيم المنشود والأرضية الصلبة للتحرك نحو الأهداف المرجوة ، فيصب من نفسه في نفس تلميذه المتقدة من الشجاعة والحماسة ما يضمن لها سرمدية الاتقاد ولتترك أثرا بعيد الغور في سجل اعماله الخالدة . وقد ظهرت بواكير هذا الاثر جلية ، في كتابات عبده لجريدة الأهرام القاهرية ، ثم ابان تسلمه لرئاسة تحرير الوقائع المصرية سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م ، ووصلت ذروتها بمشاركته في الثورة العرابية ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م .

تخرج الامام محمد عبده في الأزهر الشريف وحصل على شهادة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ/١٨٧٧م، بادئا اولى خطوات مسيرة حياته العلمية مدرسا في دار العلوم والأزهر ومدرسة الالسن في القاهرة ، وعلى هدى من خطى استاذه بدأ يشن حملة انتقادات بناءة لاذعة ، كان حظه منها مثل حظ الأفغاني نفسه ، إذ جر عليه منهجه الاصلاحي هذا ، غدر السلطات وغضبها ، حيث لم يرق لها هذا التشخيص ، واسلوب العلاج الحاسم للمشكلات التي يعاني منها المجتمع ! وانتهى الأمر بتسفيره الى قريته ، وفرض الاقامة الجبرية عليه فيها ..

ومما زاد الطين بلة ، والمحنة سوءا تزامن هذه الرزايا مع صدور قرار نفي استاذه الأفغاني سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م من مصر حيث بدأ الأفغاني ـ بعد ان عاد الى نقطة الصفر ـ رحلة شتات جديدة في الهند واوربا .. أما الشيخ محمد عبده فسرعان ما تدخل مريدوه وعارفو فضله لدى رياض باشا ، ناظر النظار ، الذي استصدر بدوره عفوا عنه من الخديوي توفيق (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) واستدعاه من قريته ليعينه محررا في الوقائع المصرية ، حيث انتهى به الأمر في العام نفسه ليصبح رئيس تحريرها .. لكن النفوس الأبية ترفض المهادنة والمساومة وتأبى لنفسها موقفا لا ينسجم مع مبادئها وقيم دينها وأمتها .

لذا والحالة هذه كان لا بد من أن يقف عبده نفسه ـ كما هي عادته ـ الى جانب الشعب ، مشاركا في الثورة العرابية وصانعا لأحداثها ومخططا لها .. لكن الثورة التي نيطت بها آمال الأمة ، سحقت تحت سنابك الانجليز واعوانهم من الخونة والمارقين .. والقى القبض على الشيخ محمد عبده مع من قبض عليهم من قادة الثورة ورجالاتها ... وحكم عليه وعلى عدد من قادة الثورة بالنفي خارج الوطن ، فاتخذ عبده من بيروت محطته الجديدة لتضميد الجراح والتقاط الأنفاس وللانطلاق من جديد مستأنفا مسيرة كفاحه ، وفيا للمبادىء الشريفة

التي عقد النية للدفاع عنها مهما كلفه ذلك من تضحيات .. وما ان استقر به المقام في بيروت - التي وجد من اهلها حسن الاستقبال وطيب الاقامة - حتى لبى نداء الواجب الذي دعاه اليه استاذه الأفغاني ، حيث كتب اليه يستدعيه للحاق به الى باريس ، وذلك في اواخر سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٢م ، ليؤسسا معا في المنفى جريدة «العروة الوثقى» ، التي كانت اول صوت اسلامي مطبوع في فجر النهضة الاسلامية الحديثة ، وتعد اللبنة الأولى في اساس هذه النهضة .. وقد صدر من هذه الصحيفة ١٨ عددا ، كان اولها بتاريخ الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/١٣ آذار (مارس) ١٨٨٤م ، وآخرها بتاريخ الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ/١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٨٤م . وقد استطاعت العروة في هذا الزمن القصير من عمرها ان تصبح لسان حال الآلاف من احرار المسلمين ، ومفكريهم ، وعلمائهم .. ولكن القوى المعادية للصوت والحق الاسلامي العادل - وعلى رأسها الحكومة البريطانية آنذاك - أمرت بمصادرة اعدادها ، ومنعت دخولها الى سائر مستعمراتها ..! بعد أن لاحظت هذه القوى ان «العروة» استطاعت ان توصل الصوت الاسلامي ، وتسمعه مدويا للعالم أجمع ، موقظة الغارقين في سبات الجهل والاستسلام للعبودية ، مستنهضة الهمم لمكافحة الاستعمار وفضح دسائسه والتشهير بجرائمه والتنديد باحتلاله ، مؤججة روح الثورة في نفوس العرب والمسلمين ، رامية الى بث الوعي في العقول ، والى بناء الانسان القادر على مواجهة التحديات وصعاب الأمور .

بعد توقف العروة عن الصدور ، غادر الشيخ عبده باريس ومنها الى بيروت سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، ليكون هذا التاريخ آخر عهده باستاذه الأفغاني ، لتقتصر علاقتهما - نتيجة الظروف القاهرة - على المراسلات التي شكلت الحد الأدنى للتواصل الفكري والانساني بينهما . وبعودة عبده للمرة الثانية الى بيروت ، عمل على وضع توجه وأسس جديدة لتحركه في اتجاه الاصلاح المأمول مستفيدا من خبراته السابقة خير فائدة .. وفي هدي هذا التحرك الجديد ، شغل وقته - خلال الأربع السنوات التي قضاها في منفاه الاختياري (بيروت) - بالعمل الثقافي والتربوي والفكري والسياسي ، وتحقيق كتب التراث ، وتأسيس الجمعيات الخيرية .. كما أسس جمعية سرية هدفها التقريب بين الأديان ، وفي هذه الفترة استقر رأيه على مفهوم جديد للاصلاح ، يوصل لتحقيق التغيير المنشود ، يتم

بواسطة التربية والتعليم ، وهو المفهوم الذي بقى ثابتا عليه حتى وفاته .

وفي ضوء هذا الهدف سعى للعودة الى مصر ، وبتوسيط أهل الحل والرأي ، تمكن في سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م ، من الحصول على عفو من الخديوي توفيق يسمح له بالرجوع الى وطنه .. وبعد ان مر بمرحلة اختبار قاسية ، متعهدا بالابتعاد عن السياسة واهلها شرع بتطبيق منطلقاته الفكرية ، مصلحا بواسطة التربية والتعليم ، فاشتغل باصلاح المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية الثلاث : الازهر والأوقاف والمحاكم الشرعية .. ولم يكن هذا وحده كافيا ليشبع نهمه بالاصلاح المنشود ، فشارك بقوة وفعالية في الحياة العامة ، حيث شهدت الفترة ما بين عودته الى مصر ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م وحتى وفاته ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، حركة لا تنقطع ، ونشاطا لا يهدأ ، وهمة لا تفتر في المشاركة والتأسيس لجمعيات ومؤسسات تربوية ، وتعليمية ، واجتماعية متعددة الأغراض والأهداف الانسانية ، من أهمها مشاركته في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي تهدف لنشر التعليم واغاثة المنكوبين ، والتي تولى رئاستها في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، كذلك تأسيسه لجمعية احياء العلوم العربية ، بهدف تحقيق ونشر آثار التراث العربي الاسلامي ، فضلا عن اهتمامه برجال العلم والفكر والاصلاح ، من امثال عبدالرحمن الكواكبي ، ومحمد رشيد رضا حيث أوجد لهما ارضا صلبة مع توفير اسباب الاستقرار النفسي (في مصر) وغني عن القول ما قدمه امثال هؤلاء الاعلام من عطاء في خدمة القضايا الاسلامية المصيرية ، التي نذروا حياتهم من اجلها .

ومن أسمى المناصب التي تقلدها عبده في حياته ، منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ، وبعد ان ظل ما يقرب من تسع سنوات يشغل منصب القاضي ، والمستشار في محاكم مصر ، حيث اثبت على الدوام بأنه قاضي العدل والانصاف . وقد اتاح له منصب الافتاء القيام بجولات للاطلاع على احوال العالم الاسلامي في اصقاع المعمورة ، فشملت جولاته الكثيرة ، بلاد الشام واوربا وافريقيا العربية (تونس ، الجزائر ، وزار السودان في أواخر حياته) ..

لقد كان الامام عبده من تلك النخبة من المفكرين العرب الاسلاميين ، التي استيقظت على احوال الأمة المزرية ،فهبت تنافح لجلاء الصدأ الذي اعترى فكرها ، وللقضاء على الأوهام التي سيطرت على اذهانها ،

وكسر القيود التي كبلت ارادتها ، فطفق ينادي بتحرير الأمة من نير الظلم والطغيان ، الذي جعل منها لقمة سائغة بين فكي الاستعمار الغربي الحديث .. وأخذ بالتي هي أحسن المجافين للتجديد والاصلاح الحق المتفق مع روح الاسلام الصحيح ، ناعيا على بعض العلماء والفقهاء جمودهم ، وضيق أفقهم ، منددا بمرارة بطرق التعليم والتدريس العقيمة في كل من الأزهر ، والأموي ، والزيتونة ، والقرويين وكان خصومه (سامحهم الله وغفر لهم) يتمسكون بتطرف بتلك الأساليب الدراسية العقيمة ، وبالأفكار التي توارثوها من عصور مظلمة ، مؤثرين النقل على العقل مدابرين لكل جديد .. ويذكر الاستاذ قدري قلعجي رأي الشيخ محمد عبده نفسه في طرق تدريس هؤلاء الاساتذة حيث يقول : «كنت اسمع الشيخ وهو يدرس ، فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية» ! ثم يضيف : «ان أكثرهم اتخذوا دينهم متجرا يكسبون به الحطام ، فاختلط عليهم الأمر بين الاسلام الصحيح وبين ما نسبوه الى الاسلام من عادات جاهلية ، وبدع وثنية ، وأوهام نسجتها عصور الظلام وعهود الاستبداد ، كما يدافع المرء عن مورد رزقه ، متهمين كل من يخرج على هذه القيود التي تكبل الفكر والروح ، وكل من دعا الى العلم والعقل بالكفر والفساد » . لا يهمهم أن يقول لهم قائل «انكم تتهمون أفضل رجالكم وأعقلهم بالمروق ، مع انهم لا يريدون بكم إلا الخير والرقى والسعادة . فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل(*) .

هذه هي شخصية محمد عبده ، شخصية جبلت على شرف النفس وصدق اللسان ونقاء السريرة ، وعلو الهمة . وكان مع علمه الثر جم الأدب ، رفيع الخلق ، سمح الخلقة ، طلق المحيا ، كريم المعشر ، شريف الغايات نبيل المقاصد وبوفاته ـ رحمه الله ـ طويت صفحة ناصعة من انصع صفحات تاريخنا الحديث ، وفقدنا رجلا عظيما عاش لأمته وقضاياها أكثر بكثير مما عاش لنفسه وأهله ، وشعوب امتنا ـ بكل ما تملك من احترام ووفاء لرجالها الذين امتحنوا

(*) انظر قدري قلعجي ، ثلاثة من اعلام الحرية ، جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، سعد زغلول ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د. ت) ص ٢٧٧ وما بعدها .

في سبيلها ، وبذلوا ارواحهم رخيصة لرقيها ، ومن أجل ان تبقى زمام المبادرة في يدها ، «كخير أمة اخرجت للناس» ـ لن تسقط من ذاكرتها أبدا أمثال هؤلاء الرجال ، الذين رسموا لها الخطة الأثيرة ، وساقوها الى طريق المستقبل الأدوم حضورا والأبقى تفوقا . وسيبقى محمد عبده ـ بما تركه من اعمال باقية جليلة ، وذكر

عطر ، وافكار ملهمة اوصلته الى مقام الامامة بكل معناها ـ ماثلا ابدا في

وجدان أمته ، وستبقى ذكراه جذوة من نور حية سرمدية لا تنطفىء .

أعمـالـه

أ ـ الكُتب

ـ **رسالة الواردات** ، (القاهرة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م) ، انظر محمد عمارة الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ، ٦ مجلدات ، (بيروت ، ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٤هـ/١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م) ، راجع هنا الجزء الأول ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

ـ **حاشية على شرح الديواني للعقائد العضدية** ، (القاهرة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٦ م طبعة ثانية ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) ، انظر عمارة المرجع السابق ص ٢٠٩ ـ ٢١٩ .

ـ **العقيدة المحمدية** : (القاهرة ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م . **طبعة ثانية ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م)** .

ـ **مع السيد جمال الدين الأفغاني ، العروة الوثقى** ، (صدر منها ١٨ عددا ، اولها بتاريخ الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/١٣ آذار (مارس) ١٨٨٤م ، وآخرها بتاريخ الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ/١٦ تشرين اول (اكتوبر) ١٨٨٤م ، أعيد طبعها مرارا ، في القاهرة ، وبيروت من ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وحتى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، كما أعيد طبعها في كتاب محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ٣ أجزاء ، (القاهرة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م) تجدها هنا في الجزء الثاني ص ٢١٥ ـ ٣٤١ ، كذلك تجدها باختصار في الجزء الأول ص ٢٨٣ ـ ٢٨٩ ، أعاد نشرها ايضا محمد عمارة في كتابه جمال الدين الأفغاني ـ الأعمال الكاملة ـ الجزء الثاني (بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م) ، وكان الأستاذ عمارة قد نشرها في كتابه الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ، الجزء الأول ، ص ٢٢٩ ـ ٢٤٠ .

- **شرح كتاب نهج البلاغة للامام علي بن ابي طالب ، (رضي الله عنه) (بيروت ١٢٧٥هـ/١٨٨٥م) أعيد طبعه أكثر من مرة ، انظر محمد عمارة ، عبده ، ج ٣ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٩ .**

- **رسالة الرد على الدهريين** ، للسيد جمال الدين الأفغاني ، ترجمها من الفارسية الى اللغة العربية ، مع مقدمة للترجمة ، (بيروت ١٢٧٦هـ/ ١٨٨٦م و١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) .

- **شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني** ، (بيروت ١٢٧٩هـ/ ١٨٨٩م) ، انظر عمارة ، عبده ، ج ٢ ، ص ٤١٤ ـ ٤١٦ .

- **رسالة التوحيد** ، (طبعت مرارا في القاهرة وبيروت من العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م وحتى العام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) وصححها وأعاد طبعها محمد رشيد رضا ، ط ١١ ، دار المنار بمصر (القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) ، وأعاد طبعها محمد عمارة في كتابه عبده ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ـ ٤٧٥ . نقلت الى اللغتين الانجليزية والفرنسية (راجع اعماله المترجمة) .

- **شرح كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق لعمر بن سهلان الساوي** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) .

- **شرح كتاب المخصص ، لابن سيده** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م) .

- **شرح كتاب اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م و١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) .

- **تقرير مفتي الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية : (القاهرة ١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م)**

- **الاسلام والرد على منتقديه** ، (القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) ، موضوعات الكتاب نشرت اولا على حلقات في جريدة المؤيد القاهرية ، آيار (مايو) ١٩٠٠م/١٣١٨هـ كرد على مقالات كتبها المفكر الفرنسي ووزير الخارجية الفرنسي انذاك : (١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م) A. Gabriel Hanotaux ونشرها في صحيفة Journal de Paris تحت عنوان «وجها لوجه مع الاسلام ومسألة المسلم» وفي وقت مبكر من نفس العام (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) ، أعاد نشر هذه المناظرات وردودها محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الامام الجزء الثاني ، ص ٤٠٨ ـ ٤٦٨ ، ومحمد عمارة ، في كتابه عبده ، الجزء الثالث ، ص ٢٠١ ـ ٢٣٩ ، وقارن ص ٢٤٣ ـ ٣٥٠ .

- **الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، (القاهرة ١٣٢٠هـ - ١٣٨٠هـ/١٩٠٢ - ١٩٦٠م) وكان المرحوم محمد رشيد رضا قد نشرها على حلقات في مجلة المنار، الجزء الثاني (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) كرد على سلسلة مقالات كتبها فرح انطون (١٢٩١ - ١٣٤١هـ/١٨٧٤ - ١٩٢٢م) في مجلة الجامعة، تعكس اعجابه الشديد بالفكر الاوربي وهيامه المعروف بجديده، أعاد نشرها عمارة في كتابه عبده، ج ٣، ص ٢٤٣ - ٢٥٠، راجع ايضا، تاريخ الامام ج ١، ص ٨٠٥ - ٨١٦.

- **تفسير سورة الفاتحة**، (القاهرة ١٣١٩ - ١٣٧٩هـ/١٩٠١ - ١٩٥٩م)، اعاد نشرها طاهر طناحي في دروس من القرآن الكريم، (القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص ٤٥ - ٨١، وايضا عمارة في عبده، ج ٤، ص ٢٣ - ٥٣، وصدرت في طبعة مستقلة: محمد عبده، فاتحة الكتاب، ط ٢، ١ كتاب التحرير (القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

- **تفسير سورة العصر**، (القاهرة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م) أعاد نشرها طاهر طناحي، في دروس من القرآن الكريم، (القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص ٨٣ - ١١٣، وتجدها ايضا عند عمارة، عبده ج ٥، ص ٥٠١ - ٥٢١.

- **تفسير جزء عم** (القاهرة ١٣٢٢هـ - ١٣٤١هـ/١٩٠٤ - ١٩٢٢م)، اعاد طبعها محمد عمارة في عبده، ج ٥، ص ٣٠٩ - ٥٧٤.

- **الفتوى المهمة في الشريعة الاسلامية**، (القاهرة ١٣٣٣ هـ/١٩١٤م).
- **فلسفة التربية الحقة** (الاسكندرية ١٣٣١هـ/١٩١٤م).
- **مع محمد رشيد رضا**، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١٢ مجلدا، (القاهرة ١٣٤٦ - ١٣٥٥ هـ/١٩٢٧ - ١٩٣٦م) تفسير محمد عبده تجده في محمد عمارة، عبده، الجزئين الرابع والخامس.
- **مشكلات القرآن ومشكلات الحديث**، (القاهرة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣م).
- **مذكرات الامام محمد عبده**، باشراف طاهر طناحي، (القاهرة د.ت) تجدها في محمد رضا تاريخ الامام الجزء الاول ص ٩ - ٢٧ و١٥٧ - ٢٢٤.
- **دروس من القرآن الكريم**، باشراف طاهر طناحي، (القاهرة

١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
- **المسلمون والاسلام**، (القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).

ب ـ المقالات

معظم المقالات التى كتبها الشيخ محمد عبده والتى تم نشرها في الاهرام، والوقائع المصرية، والعروة الوثقى، وثمرات الفنون البيروتية، والمنار،.. الخ قد أعاد طبعها الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده» وفيما يلي أهم المقالات الاصلاحية التى أسهم فيها الشيخ عبده ووجهها الى الناس في ذلك العصر عبر وسائل الاعلام :

- «**المدبر الانساني والمدبر العقلي الروحاني**» في الاهرام العدد ١١، ديسمبر ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، تجدها في رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٢٣ ـ ٣٧، قارن عماره، عبده، الجزء الأول، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
- «**العلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية**»، في الاهرام العدد ٤١، ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، تجدها في رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٣٧ ـ ٤٥، وكذلك عماره، عبده، ج٣ ص ١٥ ـ ٢٢.
- «**فلسفة التربية**» في جريدة مصر ١ حزيران (يونيو) ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م، اعاد نشرها رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٢ ـ ١٤.
- «**التربية في المدارس والمكاتب الاميرية**»، في الوقائع، العدد رقم ٩٥٧، ت٢ (نوفمبر)، ١٨٨٠م/١٢٩٨هـ ، اعاد نشرها رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٨٠ ـ ٨٣، كذلك عماره، عبده، ج٣، ص ٢٧ ـ ٣٠.
- «**العفة ولوازمها**» في الوقائع العدد ٩٩٥، ك١ (ديسمبر) ١٨٨٠م/١٢٩٨هـ ، أعاد نشرها رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٨٧ ـ ٩١، كذلك عماره (عبده) ج٢، ص ٣٠ ـ ٣٤.
- «**ما أكثر الكلام وما أقل العمل**»، في الوقائع، رقم ١٠١٢، ك٢ (يناير) ١٨٨١م/١٢٩٩هـ، انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص٩٨ ـ ١٠٣، عماره عبده، ج٢، ص ٣٥ ـ ٣٩.
- «**القوة والقانون**»، في الوقائع، رقم ١٠٣١، شباط (فبراير) ١٨٨١ م/ ١٢٩٩هـ ، انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٩٢ ـ ٩٩، عماره، عبده، ج١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٧.

- «**المعارف في المجتمع**» في الوقائع، رقم ١٠٤١ (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) انظر عماره، عبده، ج٢، ص ٦٠ ـ ٦٣.
- «**حاجة الانسان الى الزواج**»، في الوقائع، رقم ١٠٥٥، آذار (مارس)، ١٨٨١م/١٢٩٩هـ) انظر رضا (تاريخ الامام) ج٢، ص ١٠٩ ـ ١٢٢، عماره، (عبده) ج٢، ص ٦٨ ـ ٧٢.
- **حكم الشريعة في تعدد الزوجات**، في الوقائع رقم ١٠٩٤، نيسان (ابريل)، ١٨٨١/١٢٩٩هـ، انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ١١٣ ـ ١١٨، عماره، عبده، ج٢، ص ٧٨ ـ ٨٣، وقارن ص ٨٤ ـ ١٣٢.
- «**خطط العقلاء**» في الوقائع، الاعداد ١٠٧٩، ١٠٨٢ و١٠٩٢، نيسان (ابريل) (١٨٨١م/١٢٩٩هـ) انظر رضا، ج١ تاريخ الامام، ص ١١٩ ـ ١٣٢، عمارة، ج١، ص ٢٩٦ ـ ٣٠٨.
- «**تأثير التعليم في الدين والعقيدة**»، في الوقائع رقم ١١٨٦، آب (اغسطس) (١٨٨١م ـ ١٢٩٩هـ) انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ١٦٤ ـ ١٧١، عمارة، عبده، ج٣، ص٥٣ ـ ٦١.
- «**الحياة السياسية**»، في الوقائع الاعداد ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٤، ١٢٦٧، ت٢، (نوفمبر) (١٨٨١م/١٢٩٩هـ)، انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ١٩٤ ـ ١٩٦، عمارة، عبده، ج١، ص ٣٣٦ ـ ٣٤٥، وقارن C.Adams, op cit, p. 49 n.1
- «**في الشورى والاستبداد**» في الوقائع العدد ١٢٧٩، ك١ (ديسمبر) (١٨٨١م/١٢٩٩هـ)، انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ١٩٧ ـ ٢٠٥، رضا، عبده، ج١، ص ٣٥٠ ـ ٣٦٦ قارن كذلك ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢.
- «**الناس من خوف الذل في ذل ومن خوف الفقر في فقر**»، في الوقائع، العدد ١٣١٦، ك٢ (يناير) (١٨٨٢م/١٣٠٠هـ) انظر عمارة، عبده، ج١، ص ٣٧١ ـ ٣٧٥.
- **السلطة للصفوة المستنيرة**»، في عمارة، عبده، ج١، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.
- «**الاحتلال الانجليزي لمصر**»، "English Occupation of Egypt" في in The Pall Mall Gazette, Vol. xi, No. 6056, Aug. 7, 1884 (London p.1-2)

نقلها الى العربية عثمان امين ونشرها في مجلة الثقافة العدد ٨٤ ، آب ، (اغسطس) القاهرة (١٩٤٠م/١٣٥٩ هـ) ، أيضا في عمارة ، (عبده) ، ج١ ، ص ٦٣٠ ـ ٦٣٤ . من الجدير بالذكر ان جميع المراجع التي نشرت

نقلا عن عثمان امين (النص العربى) ذكرت خطأ تاريخ العدد المنشور فيه المقابلة مع الشيخ عبده باللغة الانجليزية، على اعتبار أنه ١٧ آب (اغسطس) ١٨٨٤/١٣٠٢هـ ، والصحيح هو كما أشرنا فيما تقدم يوم ٧ آب (اغسطس) ١٨٨٤م/١٣٠٢هـ . راجع :
F.T. Mukbil, The Development of Reform Concept in Nineteenth Century Egypt with Special Emphasis on Shykh Muhammed 'Abduh and His Group, Ph. D. Thesis, (Manchester, 1983), p. 114 n.1.

- «**لائحة اصلاح التعليم العثماني**» في رضا ، تاريخ الامام ، ج٢ ، ص ٥٠٥ ـ ٥٢٢ ، كذلك عماره ، عبده ، ج٣ ، ص ٧١ـ٨٧ .
- «**لائحة اصلاح القطر السوري**» ، في رضا ، **تاريخ الامام ، ج٢ ، ص ٥٢٢ـ٥٣٢ ، وعماره عبده ، ج٣ ، ص ٩٢ـ١٠٣** .
- «**نظام التربية والتعليم بمصر**» ، في رضا ، تاريخ الامام ، ج٢ ، ص٥٣٣ـ٥٢٢ ، عماره ، عبده ، ج٣ ، ص١٠٥ـ١٢٢ .
- «**انما ينهض بالشرق مستبد عادل**» ، في مجلة الجامعة العثمانية ، ١ آيار (مايو) (١٨٨٩م/١٣٠٧هـ) انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٣٩٠ـ٣٩٣، عمارة، عبده، ج١، ص ٧١٦ـ٧١٧.
- «**آثار محمد علي في مصر**» في المنار م ٥ ، ٧ حزيران (يونيو)، (١٩٠٢/١٣٢٠هـ). انظر رضا، تاريخ الامام، ج٢، ص ٣٨٢ـ٣٨٩، كذلك عماره، عبده، ج١ ص ٢٢١ـ٢٢٨، انظر ايضا العروة الوثقى، باشراف صلاح البستاني، (القاهرة ١٣٧٧/١٩٥٧م)، ص ١٢ـ١٦ .
- «**استعانة المسلمين بالكفار وأهل البدع والاهواء لنصرة الملة وحفظ حوزة الأمة**» في رضا، تاريخ الامام، ج١، ص ٦٤٧ـ٦٤٩ ، ٦٦٢ـ٦٦٦، وقارن ٦٦٢ـ٧١٦، انظر أيضا عماره، عبده، ج١ ص ٧٨ـ٧١٥.

(ج) أعمال مجهولة المصير :

- **تاريخ اسماعيل باشا**، راجع رضا، تاريخ الامام، ج١ ص ٧٧٧، ايضا عماره، عبده، ج١، ص ٢٢٢ـ٢٢٣، انظر كذلك : Charles C. Adams, Islam and Modernism in Egypt: A Study of the Modern Reform Movement Inaugurated by Muhammed Abduh, (Cairo, 1946), p. 273.

- **تاريخ أسباب الثورة العرابية**، انظر رضا، تاريخ الامام، ج١، ص ١٥٧-٢٢٤، كذلك عماره، عبده، ج١، ص ٤١٥-٥٧١ عثمان أمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، (القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٢٦٤.
- **رسالة في وحدة الوجود**، انظر رضا، تاريخ الامام، ج١، ص ٧٧٧.
- **فلسفة الاجتماع والتاريخ**، انظر رضا، تاريخ الامام، جزء ١، ص ٧٧٧. انظر كذلك : Adams, op, cit,p. 273.
- **رسالة في علم الوضع**، أنظر أمين، رائد الفكر، ص ٢٦٣.
- **في المنطق** ، أنظر المرجع السابق، ص ٢٦٤.
- **دروس دار الافتاء** ، انظر المرجع السابق.
- **التربية** ، للفيلسوف الانجليزي المعروف هربرت سبنسر Herbert Spencer (١٨٠٤/١٨٩٠م) ترجمة الشيخ عبده من الفرنسية الى العربية، والكتاب صدر اصلا باللغة الانجليزية، أنظر المرجع السابق.

(د) أعماله المترجمة : Translations:

Risālat al-Tawhîd, Fr. trans. Expose de la religion Musulmané, by B. Michel and Moustapha Abdel Raziq (Paris, 1925, 2d edn., 1965).

Risālat al-Tawhîd, Eng. trans. The Theology of Unity, by I.Muscad and K. Cragg, (London, 1966).

Al - Islam wa al- Radd ala Muntaqidîh, Fr. trans. L'Europe et L'Islam, by Talat Harb, (Cairo, 1905 and 1925).

A. Abdel-Malek, ed., 'Abduh's Selected Writings', in Anthologie de la Littérature arabe contemporaine, (Paris, 1965), pp. 54 ff., 75 ff., and 79 ff.

"English Occupation of Egypt", The Pall Mall Gazette (London) vol. xi, No. 6065, 7 Aug., (1884), pp. 1-2. Reprinted in Amin, op.cit., pp.58-63; Arabic trans. by Uthman Amin in Al-Thaqafa Magazine, No. 84, Aug., (1940); re-

printed in Amarah, Abduh, i, pp. 630-634. All references put the date of interview wrongly as 17 Aug., (1884). Two widely-known newspapers, Truth and The Times also published reports of discussions on the condition of matters in Egypt between Abduh and British political figures. Especially Abduh's discussion with Lord Hartington, then Secretary of State for the Army. See Amarah, Abduh, i, pp. 628-629; Amin, op. cit., p. 63; also cf. A. Amin, Zucama, p. 331; and Uthman Amin, 'Jihad Muhammad Abduh Fi Manfah, Paris wa London; in Al- Thaqafa, Vols. 30 July and 6 Aug., (1940).

دراسات باللغة العربيّة

أ - الكُتب

- **أحمد أمين** : زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ط٤، (القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، انظر هنا بشكل خاص ص ٣٠٢-٣٦٩.
- **أحمد باشا شفيق** : مذكراتي في نصف قرن، مجلدان ، (القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، أنظر هنا المجلد الثاني، ص ١٨٩٢-١٩٠٣.
- **أحمد الشايب** : الشيخ محمد عبده، (الاسكندرية ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).
- **أحمد الظواهري (شيخ)** : السياسة والأزهر، (القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م).
- **أحمد الظواهري (شيخ)** : العلم والعلماء، (القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).
- **أحمد محمود شحاته** : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، (القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).
- **أحمد موسى الخطيب** : الشعر في الدوريات المصرية، ١٨٢٨-١٨٨٢م - دار المأمون للطباعة والنشر، (القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- **تشارلز ادامس** : الاسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود العقاد، (القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، انظر اسم الكتاب بالانجليزية في القسم الرابع من أعمال محمد عبده (بالاجنبي)، لمؤلفه (Adams, c.c.)
- **سليمان دنيا** : الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، في مجلدين، (القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).
- **صلاح البستاني (اشراف)** : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).

- **عباس محمود العقاد** : الامام محمد عبده، (القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) اعادت طبعه دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م).
- **عبدالجواد سليمان (شيخ)** : الشيخ محمد عبده، (القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥١م).
- **عبدالكريم سلمان** : أعمال مجلس ادارة الأزهر، (القاهرة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م).
- **عبداللطيف حمزة** : أدب المقالة الصحفية في مصر، في ٨ مجلدات، ط٢ (القاهرة ١٣٧٨ ـ ١٣٨٢ هـ ١٩٥٨ـ١٩٦٣م)، أنظر هنا المجلد الثاني ص ٦٢ـ١١٣.
- **عبدالله محمود شحاته** : منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، من منشورات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٤٤ نشر الرسائل الجامعية (٢) (القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).
- **عبدالمنعم حمادة** : محمد عبده، (القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م).
- **عثمان أمين** : محمد عبده، (القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، نقله للانجليزية تشارلز ويندل C. Wendall, Muhammed Abduh, (Washington, 1953)
- **عثمان أمين** : رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، (القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).
- **عمر دسوقي** : في الأدب الحديث، في مجلدين (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، أنظر هنا المجلد الأول ص ٢٣٧ـ٢٦٢.
- **غازي توبة** : الفكر الاسلامي المعاصر : دراسة وتقويم، ط٣، (بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) أنظر هنا ص١٣ـ٥٤.
- **فهد الرومي** : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، انظر هنا، ص ١٢٤ـ١٦٩.
- **قدري قلعجي** : محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الاسلام، (بيروت ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م).
قدرى قلعجي : ثلاثة من أعلام الحرية، جمال الدين الافغاني، محمد عبده، سعد زغلول، (بيروت د.ت).
- **مجموعة من المؤلفين** : ارشاد الأمة الاسلامية الى أقوال الائمة في الفتوى الترانسفالية، (القاهرة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م).

- **محمد أحمد خلف الله** : هكذا يبنى الاسلام، (القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- **محمد رشيد رضا** : تاريخ الاستاذ الشيخ محمد عبده، في ٣ مجلدات، (القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م).
- **محمد صبيح** : الشيخ محمد عبده، في مجلدين، (القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م).
- **محمد علي رضا** : **الأزهر بين الماضي والحاضر، (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)**.
- **محمد عماره** : الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، في ٦ مجلدات، (بيروت ١٣٩٢-١٣٩٤هـ/ ١٩٧٢-١٩٧٤م).
- **محمد عماره** : الاسلام والمرأة في رأى محمد عبده، (بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).
- **مصطفى عبدالرازق** : محمد عبده، (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م).
- **يوسف أسعد داغر** : مصادر الدراسة الأدبية، في ٤ مجلدات، (بيروت ١٣٧٦-١٣٩٢ هـ/ ١٩٥٦-١٩٧٢م) أنظر هنا المجلد الثاني ص ٥٩٧-٦٠٢.

ب - المقالات

- **ابراهيم يوسف** : «رسالة في الاسلام : بين هيجل (*) ومحمد عبده»، في الرسالة، القاهرة العدد ١٠٥، ص ١١١٨.
- **أحمد حسن الزيات** : «محمد عبده» في الرسالة، (القاهرة)، مجلد ١٩٣٥، ص ١٠٨١-١١٢١.
- **أحمد الزرقا** : «محمد عبده والطير الابابيل» في الرسالة، (القاهرة)، رقم ٧٩٤.
- **أنور الجندى** : «مجالس الشيخ محمد عبده» في العربي (الكويت) رقم العدد ١١٠، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ١٥٤-١٥٧.
- **تركي رابح** : «الشيخ البشير الابراهيمي عن اللغة العربية والاسلام في الجزائر «١٣٠٧-١٣٨٥هـ/ ١٨٨٩-١٩٦٥م، في الفيصل، (الرياض)،

(*) : هيجل (فردريش) Hegel . (١٧٧٠-١٨٣١)، فيلسوف الماني معروف، له مبادىء فلسفة الحق.

عدد أذار (مارس) ١٩٨٣م/ ١٤٠٤هـ ، ص ٦٧ـ٧١.

- **جرجي زيـــدان** : «محمد عبده مفتى الديار المصرية»، في الهلال العدد رقم ١٣ (القاهرة) ص ٥٥٤.
- **حافظ عوض** : «أثار اقدام في رمال الزمان» : من ذكرياتى عن الشيخ محمد عبده»، في الهلال، العدد رقم ٥١، (القاهرة) ص ٥٥٧ وما يليها.
- **حسن عبدالرزاق** : «الشيخ محمد عبده، اشتغاله في مجلس الشورى»، في المقتطف، عدد ك ١ (ديسمبر) (القاهرة) (١٩٠٥م/١٣٢٣هـ).
- **الرسالة (مجلة)** : من مذكرات بلنت : (*)صفحات مجهولة من حياة الامام محمد عبده»، مجلد ٧، (القاهرة) ص ١١٠٤ـ١١٥٦.
- **رستم رشيد** : «بين الفيلسوفين هربرت سبنسر (*) ومحمد عبده»، في الهلال، العدد رقم ٤٧، (القاهرة) ص ٦٠٤.
- **زكى مبارك** : «روح الشيخ محمد رشيد رضا، أثر محمد عبده عليه»، في الرسالة، العدد رقم ١١، (القاهرة) ص ٦٠٤.
- **الضياء (مجلة) (الهند)** : «محمد عبده» المجلدان ٥ و٧، ص ٩٧ و٩٢٧.
- **بدالله شريط** : «منهجية في بحث الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبـده»، حـوليـات جـامعـة الجـزائـر، رقم ١، (الجـزائـر ١٤٠٧/١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٦/١٩٨٧م).
- **عبدالمنعم حمادة** : «الاستاذ الامام يواصل الجهاد في منفاه» في مجلة الثقافة، القاهرة، العدد ٢٩، ص ١٥.
- **عبدالهادي بو طالب** : «بزيارة محمد عبده موفدا، من استاذه جمال الدين الافغاني، يمكن تأريخ بدء التنظيم السلفي في تونس»، من كتابه ذكريات وشهادات ووجوه، نشرته في حلقات جريدة الشرق الاوسط، الحلقة ٩، العدد ٣٤٨٧، ١٥ حزيران (يونيو)، (١٩٨٨/١٤٠٩هـ) ص ١٤.
- **عبدالهادي بو طالب** : «المغرب كان مهيئا لتقبل الفكرة السلفية وكثير من علمائه تميزوا بالجهر بالعودة الى الاصول الاسلامية»، من كتابه ذكريات وشهادات ووجوه، نشرته في حلقات جريدة الشرق الاوسط، الحلقة ٧، العدد ٣٤٧٣، ١ حزيران (يونيو)، (١٩٨٨/١٤٠٩هـ) ص ١٦.

(*) ويلفريد سكوين بلنت (Blunt) (١٨٤٠ـ١٩٢٢) كاتب وشاعر ورحالة انجليزى مرموق، ارتبط بصداقة حميمة مع الشيخ محمد عبده، وله خبرة ودراية واسعة بشئون مصر بخاصة والشرق بعامة.

(*) سبنسر (هربرت) (Spencer) (١٨٠٤ـ١٨٩٠)، فيلسوف انجليزي معروف.

- **عثمـــان أمين** : «أثر المرأة في حياة محمد عبده»، في الرسالة، العدد ٢٢، (القاهرة) شباط (فبراير) (١٩٣٧م/١٣٥٦هـ)، ص ٣٠١ وما بعدها.
- **عثمان أمين** : «جهاد محمد عبده في منفاه»، في الثقافة، عدد تموز وآب (يوليو واغسطس) (القاهرة ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ)، ص ٣١٢، ١٣٤١.
- **عثمان أمين** : «محمد عبده وتعدد الزوجات»، في الثقافة، عدد حزيران (يونيو) (القاهرة ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ).
- **عثمان أمين** : «محمد عبده واصلاح الازهر»، في الرسالة، عدد نيسان (ابريل) (القاهرة ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ).
- **عثمان أمين** : «خواطر عن محمد عبده الفيلسوف» في الثقافة، عدد تموز (يوليو)، (القاهرة ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ).
- **عثمان أمين** : «الانسانية والحرب في نظر محمد عبده» في الثقافة، عدد تموز (يوليو)، (القاهرة ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ).
- **عثمان أمين** : «مستطرفات ونوادر عن محمد عبده» في الثقافة، (القاهرة) ١٠ آب (اغسطس) و٥ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ.
- **عثمان أمين** : «محمد عبده والدفاع عن الاسلام» في مجلة الازهر، المجلدان ١٤ و١٥ (القاهرة).
- **عثمان أمين** : «محمد عبده فيلسوف الحرية» في الثقافة، القاهرة. عدد تموز (يوليو)، ١٩٤٢م/١٣٦١هـ .
- **عثمان أمين** : «مشاهدات محمد عبده في بالرمو (صقلية)» في الاهرام (القاهرة) عدد حزيران (يونيو) ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ.
- **عثمان أمين** : «محمد عبده المصلح الاخلاقي» في الثقافة، عدد تموز (يوليو (القاهرة) ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ.
- **عثمان أمين** : «محمد عبده نصير الحرية». في مجلة العلوم، عدد ك ٢ وشباط (يناير وفبراير)، القاهرة، ١٩٤٤م/١٣٦٣هـ.
- **عثمان أمين** : «الامام وتفسير القرآن» في مجلة الازهر، المجلد ١٥، (القاهرة).
- **عثمان أمين** : «الامام محمد عبده وأهل التصوف» في مجلة الثقافة، عدد تموز (يوليو) (القاهرة ١٩٤٠م/ ١٣٦٠هـ).
- **عثمان أمين** : «صوت الاستاذ الامام» في منبر الاسلام، (القاهرة) عدد آب (اغسطس) ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ ، ص ٥٨ـ٥٩.
- **عثمان أمين** : «جوانب مجهولة من فلسفة محمد عبده» في مجلة المنتدى، (الفلسطينية) عدد تموز (يوليو) ١٩٤٥م/ ١٣٦٤هـ.

- **عثمان أمين** : «محمد عبده»، في مجلة الكتاب (القاهرة ك٢، (يناير) (١٩٤٩م/١٣٦٥هـ).
- **عثمان أمين** : «محمد عبده ناقد المجتمع المصرى»، في النهضة المصرية، عدد تموز (يوليو) «القاهرة، ١٩٥٢م/١٣٧٢هـ).
- **عثمان أمين** : «محمد عبده من رواد الحركة الاصلاحية في العصر الحديث»، في مجلة الوعي (القاهرة) عدد ت١ وت٢ (اكتوبر ونوفمبر)، (١٩٥٢م/١٣٧٢هـ).
- **عثمان أمين** : «محمد عبده والسياسة» في الاهرام، عدد ١٥، تموز (يوليو) (القاهرة ١٩٥٣م/١٣٧٣هـ).
- **عثمان أمين** : «رائد الفكر العربي الحديث الامام محمد عبده في ذكرى وفاته الحادية والستين»، في مجلة العربي، (الكويت) العدد ٩٥ .
- **علي عبدالرازق (شيخ)** : «محمد عبده» في البيان، شباط (فبراير)، (نيويورك ١٩٥٦م/١٣٧٦هـ).
- **قدري قلعجي** : «محمد عبده حياته وعلمه»، في مجلة الطريق، المجلد ٣ (بيروت) ص ٣.
- **محمد البهي** : «الازهر والامام محمد عبده» في الرسالة، المجلد رقم ١٠، ص ١٠٢٢ وما بعدها، (القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
- **محمد رشيد رضا** : «الاستاذ محمد عبده»، في الهلال، العدد رقم ٤٣، (القاهرة) ص ٣٧.
- **محمد الشرقاوي** : «محمد عبده كفاحه ونجاحه» في الرسالة، مجلد (١٩٥٠) القاهرة ص ١٨٥٥.
- **محمد عاكف افندي** : «الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده»، في المنار، العدد رقم ١٣ (القاهرة). ت١ (اكتوبر) ١٩١٠م/١٣٢٨هـ ـ نشر هذا المقال في الاصل باللغة الروسية في جريدة «الشورى» وذلك ردا على الهجمة الشرسة التى يتعرض لها رموز الفكر والاصلاح في العصر الاسلامي الحديث، مستنكرة على ضيقى الأفق والعقول المريضة استهتارهم برجال الأمة وعقلائها، والباسهم تهما جاهزة مشبوهة تصل الى حد وصفهم بالخونة عملاء الغرب والماسونية العالمية. وقد تتلون التهمة احيانا بتلون نظرة الناس للمفاهيم السائدة والاكثر شيوعا وتأثيرا في الطعن بهؤلاء العمالقة المفكرين.. ففي الجزيرة العربية مثلا يتهمون «بالوهابية» وفي تركيا «بالماسونية»، وفي بلاد فارس «بالبابية»..؟! من وحى هذا الموضوع راجع أحمد ابراهيم الفقيه، في

عموده اليومي «كل يوم» في جريدة الشرق الاوسط ، العدد ٣٨٥٩، ٢٢ حزيران (يونيو) (١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ) ص ١١.
- **محمد كرد علي** : «محمد عبده» في مجلة المجتمع العلمي العربي دمشق، مجلد ٢٨ العدد ١٢، نيسان (ابريل) ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ ، ص ١٦١-١٨٠.
- **محمد النجار** : «صفحة مطوية من حياة محمد عبده في بيروت»، في مجلة دار العلوم، (القاهرة) ت٢ (نوفمبر) (١٩٣٥م/ ١٣٥٤هـ).
- **محمد الهراوي** : «وقفة على دار الامام محمد عبده» في الرسالة، مجلد ٥٥ (القاهرة) ص ١٢٢٨ وما بعدها.
- **محمود شلتوت (شيخ)** : «محمد عبده وطريقته في التفسير»، في الرسالة، القاهرة مجلد ١٩٤٤.
- **مصطفى عبدالرازق** : «محمد عبده» في المنار العدد ٢٣ (القاهرة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، ص ١٠-٢٨.
- **مصطفى عبدالرازق** : «أثر المرأة في حياة الشيخ محمد عبده» في مجلة الشباب، العدد رقم ١٧، (القاهرة) شباط (فبراير) ١٩٢٦م/ ١٣٤٥هـ.
- **مصطفى عبدالرازق** : «رجال التاريخ الحديث في مصر، محمد عبده» في السياسة الاسبوعية، العدد رقم ٥٥ (القاهرة) اذار (مارس) ١٩٢٧م/ ١٣٤٦هـ.
- **مصطفى عبدالرازق** : «الشيخ محمد عبده والاحسان» في مجلة الراديو المصرية (القاهرة) تموز (يوليو) ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ.
- **مصطفى عبدالرازق** : «الشيخ محمد عبده»، في العروة الوثقى، (طبعة بيروت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) ص ٢٢-٢٩، وطبعة ثانية دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص ٣١-٣٧، وانظر كذلك العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، باشراف صلاح البستاني، (القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).
- **مصطفى عبدالرازق** : «الاستاذ الامام»، في كتاب دروس محمد عبده، في القرآن الكريم باشراف طاهر طناحي، (القاهرة ١٣٥٩ هـ/ ١٩٥٩م)، ص ٢٠-٤٢.
- **مصطفى المراغي (شيخ)** : «الشيخ محمد عبده» في الرسالة، رقم ٢١ تموز (يوليو) القاهرة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
- **المنار (مجلة)** : «سفر الشيخ محمد عبده الى الاستانة» مجلد ٤، (القاهرة) ص ٤٣٥.

- **منصور فهمي** : «الامام الشيخ محمد عبده» في مجلة الراديو المصري، القاهرة، تموز (يوليو) ١٩٤٣م/١٣٦٣هـ.
- **في الهلال (مجلة)** : «محمد عبده» عدد آب (اغسطس) (القاهرة ١٩٠٥م/١٣٢٣هـ).
- **ياسر فرحات** : «مطلوب انقاذ التراث الاسلامي : الخطر يهدد تراث محمد عبده ورشيد رضا» في الشرق الاوسط، العدد ٣٤٨٩، ١٧ حزيران (يونيو) (١٩٨٨م/١٤٠٩هـ).
- **يوسف م. موسى** : «الدين والفلسفة والشيخ محمد عبده والتوفيق بينهما»، في المقتطف، مجلد ١٠٥، (القاهرة) ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م، ص ١٣١.

دراسات عن محمد عبده بلغات أجنبية

أ - الكتب

A. Books

Abdallah, Musa.
Islaˆm Feylesuflare: Muhammad Abduh al-Misri, Jamal al-Din al-Afghani, Triotsk, Orenburg (Russia), (1323/1906?).

Adams, C.C.
Islam and Modernism In Egypt: A Study of the Modern Reform Movement Inaugurated by Muhammad Abduh, (London, 1933). Arabic trans. al-Islam wa al-Tajdid fi Misr, by Abbas Mahmud al-Aqqad, (Cairo, 1935).

Amin, Kassem.
Les Egyptiens, (Cairo, 1894).

Amin, Osman (Uthmaˉn Amiˉn).
Muhammad Abduh, Essai sur ses ide´es Philosophiques et religieuses, (Cairo, 1944).

Lights on Contemporary Muslim Philosophy, (Cairo, 1958).

Badawi, Zaki
The Reformers of Egypt - A Critique of al-Afghani, Abduh